كن عبدا لله (خطبة)





أحمد بن علوان السهيمي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 23/3/2021 ميلادي - 8/8/1442 هجري

الزيارات: 16641

كن عبدًا لله

إن الحمدَ لله، نحمدُهُ سبحانه ونستعينُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصبحه، ومَن تبِعه بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

إن خير الحديث كتبُ الله، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

عباد الله، العبودية درجة رفيعة خاطب الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في أعلى المنازل التي يصل إليها العبد حين أُسري به؛ قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1].

وعند تنْزِل عليه القرآن؛ قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 1].

وهذه المنزلة منزلة العبودية لا يسع أحدًا الخروج عنها شاء أم أبَى طوعًا أو كرهًا؛ قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد: 15].

إما أن تكون عبدًا طائعًا لله، فتسعد بها في الدنيا والآخرة، وإما أن تكون عبدًا عبودية قهر فتشقى.

إن السعيد هو مَن لزِم عتبة العبودية وعمل صالحًا؛ قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

يا من يريد الحياة الطيبة، كن عبدًا لله كما أمرك ربُّك، لا كما تريد أنت، وتستشعر هذه النعمة والمنة من الله عليك، بأن صيَّرك لعبوديته وهداك لذلك، فله الحمد وحده سبحانه.

فمن يستشعر هذا يرى أنه لا يستحق قليلًا منه ولا كثيرًا، ويستقل طاعته ويستثقل ذنبه، فيجد في قلبه ذلةً وانكسارًا بين يدي ربه، يتقرب إليه بكل ما يحب ويرضى، وإرضاؤه غايته، فهو وليُّه ومحبوبه، وليس هناك حاجة للمحب إلا رضا محبوبه؛ ليكون ممن قال الله عنهم: ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: 8].

وفي صحيح البخاري قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[1].

هذه حالُ أولياء الله المتقين يكون التهديد الشديد من الله لمن عاداهم بالقول أو الفعل أو بُغضُهم؛ لأن من حاربه الله أهلكه، وقال شيخ الإسلام: مَن كان لله تقيًّا، فهو لله وليٌّ؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 62، 63].

ويكون تقوى الله في فعل ما أمَر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وقد تبيَّن في الحديث آنف الذكر مَن أحبه الله كان سمعه وبصره ويده ورِجله، فلا يسمع إلا ما يُرضي ربه، ولا ينظر إلا إلى ما يرضيه سبحانه، فكل حواسه وجوارحه تسعى في التقرب من الله، وطاعته ونيل رضاه.

قلت ما سمعتُم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، هادي عباده للطريق القويم والصراط المستقيم، وصلِّ اللهم وسلم على خير الخلق أجمعين وقائدهم على الصراط المستقيم، أما بعد:

أيها المؤمنون، أن تكون عبدًا لله ليس هذا من اختيارك، لكن أن تكون من أوليائه وتفوز برضوانه، فهذا الخيار لك بعد توفيق الله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: 8 - 10].

وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عن ربه عز وجل: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ))[2].

إن أعظم نعمة لله على العبد أن يَهديَه ربُّه إلى صراطه المستقيم؛ ليكون لربه عبدًا طائعًا واضعًا قدمية على عتبة العبودية، ملازمًا لها، يرجو رحمة الله، ويخشى عذابه، وقِوامُ ذلك كله بصلاح القلب، فإذا سجد القلب لله سجده، فلا يرفع بعدها أبدًا لِما يجد من لذةِ وحلاوةِ الانكسارِ والافتقارِ لله عز وجل، متوسلًا إليه توسُّلَ العبد الذليل إلى مولاه ليَرضى عنه ويقبل منه طاعته، ويغفر له ذنبه.

يا رب نسأل رضاك عنا، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الدعاء...

---

[1] صحيح البخاري (8/ 105).

[2] صحيح مسلم (4/ 1994).
